من ذكريات ساراماغو

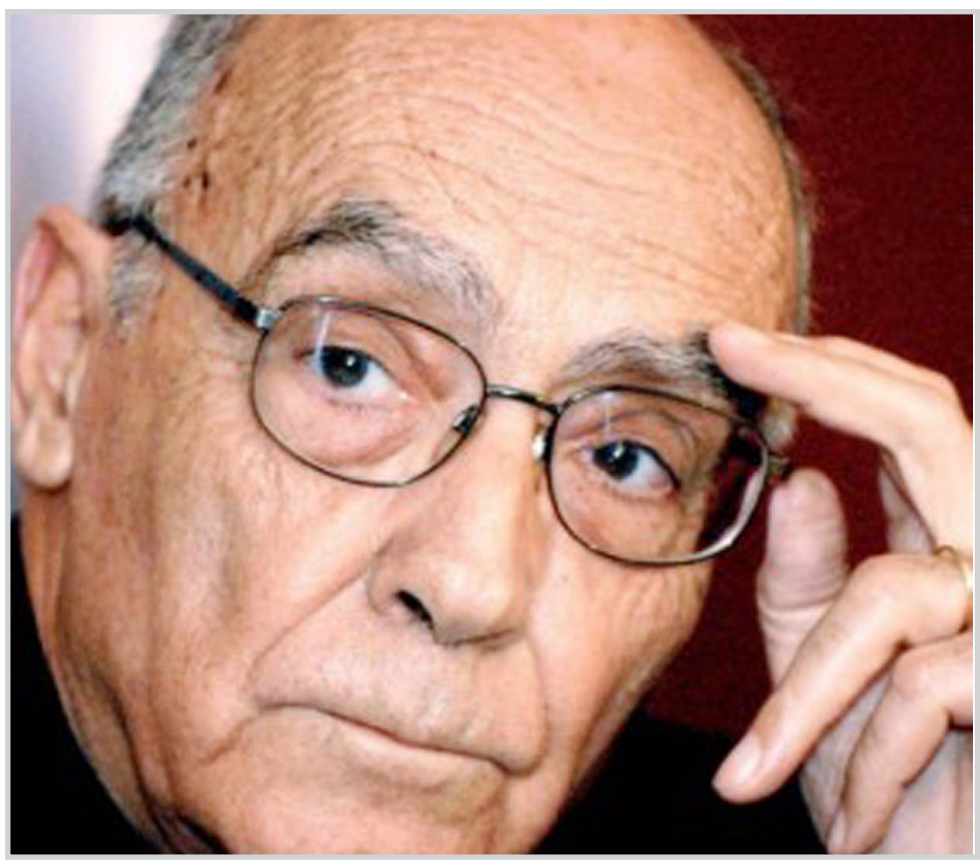

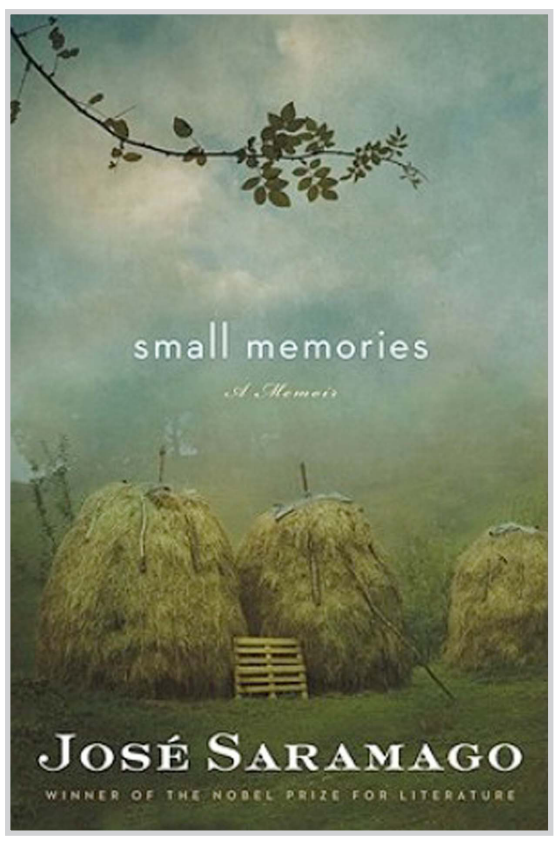

الكتاب: ذكريات قليلة
الكاتب: جوزي ساراماغو
ترجمة: ابتسام عبد الله

من بين الكتاب الذين نالوا في الأعوام الأخيرة جائزة النوبل للآداب، نجد ان ماريو فاراغاس يوسا، الوحيد الذي نقل الينا المتعة، كما فعل ذلك الروائي البرتغالي جوزي ساراماغو، ان روايته الأخيرة تقرأ كهلوسة مثيرة، وهي تنبض بالحياة بين أيدي القراء.

توفي ساراماغو في الربيع الماضي (حزيران 2010) عن 87 سنة ، والكتاب الذي صدر أخيراً، مترجماً الى اللغة الانكليزية، من قبل مارغريت جول كوستا، يتضمن آخر ما كتبه الراحل الكبير عن ذكريات مرحلة الصبا والشباب، وهذا الكتاب لا يضيف شيئاً إلى أعمال الكاتب الكبيرة، ولا يعكس صورة واضحة عنه، فهو غامض يثير الحيرة لدى القارئ الذي يجد نفسه في خضم ذكريات مضببة وغير واضحة.

إن أفضل جزء من،"ذكريات قليلة"، هو ذلك الذي يتحدث فيه ساراماغو عن طفولته في قرية برتغالية صغيرة تدعى "أزينهاغا"، ثم يستطرد في ذكرياته عن لشبونة، مركزاً على أفراد عائلته.

مع تقديمه مجموعة من الصور الفوتوغرافية لهم إضافة إلى تعليقاته على كل واحدة منها.

فهناك على سبيل المثال، صورة للروائي الكبير يبدو فيها شاباً وسيماً، في حوالي الـ20 من عمره،ونظر ماكرة في عينيه، وقد كتب تحتها: "في تلك المرحلة، كانت لدي صديقة. بإمكانك معرفة ذلك من ملامح وجهي".

وتحت صورة أخرى، يكتب ساراماغو واصفاً طريقة والدته تستخدم المقص لتتخلص بواسطته من صور الأشخاص غير المرغوب فيهم ضمن نطاق العائلة. ويكتب: "بالنسبة إليها، كأن نهاية الصداقة تعني تمزيقه الصور المرتبطة بهم".

إن،" ذكريات قليلة"، عبارة عن تقطير للذكريات المهمة عن شباب ساراماغو، ومن بين وفاة شقيقه فرانيسيسكو، عندما كان في سن الرابعة.

ويبدو إن الكتاب الكبير، كمن يعلق جراحه، متذكراً مشاعره وهو صغير، ومنها على سبيل المثال، منعه من ركوب الحصان، ويقول عن ذلك: " مازلت حتى الآن أعاني من تأثير سقطة عن حصان لم امتطيه في يوم من الأيام، ليس هناك من أثر واضح على جسدي ولكن روحي كانت تترنح طوال الـ70عاما الأخيرة.

إن،" ذكريات قليلة"، هي حصيلة تأملات رجل متقدم في السن، في عقود ثمانية مضت من حياته.

وهو في ذلك قد لا يحكم بشكل صحيح، على ما يستعيد من تلك الأيام التي انقضت، وهو لذلك السبب، يستخدم مراراً عبارة،"أنا لا اخترع هذه الأمور"، وعندما يصف مشهد غروب رائع، يكتب،"كان حقاً كذلك وما أصفه ليس مجرد كلمات أدبية منمقة"، وهو بذلك يلقي الشك حول أمور هو واثق منها تمام الثقة، وهو بذلك يوحي لنا وكأنه الكاتب الكبير يطارد مجموعة من الأشباح.

إن التفاصيل في ،"ذكريات قليلة"، والتي ترجمت إلى الانكليزية من البرتغالية، تدل على براعة المترجمة مارغريت جول كوستا، وهي غنية بالأحاسيس التي تضخ تلك الدقائق الغنية بالذكريات.

ويذكرنا ساراماغو في كتابه، إن اسمه الأول كان بعد ولادته هو "دي سوسا"، وإن ساراماغو كان اسم التحبب ويعني بالبرتغالية"، "الفجل البرّي"، وقد تم تسجيله بذلك الاسم ن قبل كاتب البلدية السكيّر. وهو كان مثل الفلفل لاذعاً، حاد الطباع.

وفي هذه الذكريات، نطلع على الأحاسيس الروائي الكبير تجاه الجنس الآخر، ونجد إن ستار من الأوهام والأخيلة متخلفة عن تلك التجارب الأولى التي خاضها في صباه مع الجنس الآخر، معترفاً، ومدركاً للمرة الأولى وجودها في الحياة، بعيداً عن أعين الوالدين. ويمكن تلخيص تلك الأحاسيس التي ترافق اللمس، وخفقان القلب. الإثارة والشهوة.

ويكتب ساراماغو ملاحظة عن تلك المرحلة من حياته:"في الحقيقة ان قسوة الطفولة لا تعرف الحدود (وهو السبب في ان مرحلة البلوغ هي كذلك أيضاً).

إن نبرة كتاب"ذكريات قليلة"، كئيبة ورثائية وكأنها كتبت من وحي عبارة قالتها له يوماً جدته: "إن العالم جميل جداً"، وذلك يجعلني حزينة، لما أفكر إن لا بد من الموت".

■ عن / النيويورك تايمز

البيت الأبيض و الشرق الأوسط من الحرب الباردة حتى الحرب على الإرهاب

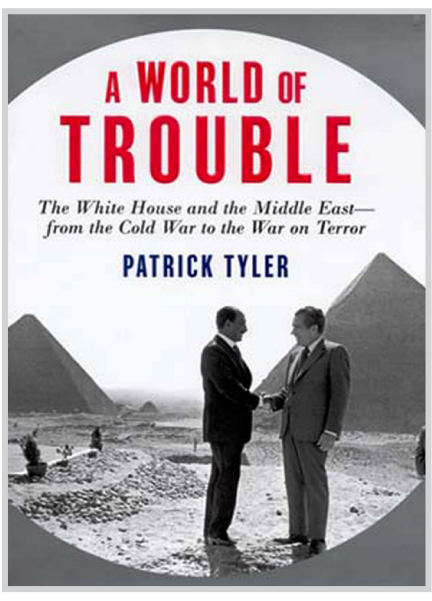

الكتاب:عالم من المتاعب
المؤلف:باتريك تايلرفارار
ترجمة:عبد الخالق علي

يقول تايلر "بعد ستة عقود من التدخل الأميركي في الشرق الأوسط،مازال الاميركان بعيدين عن هذه المنطقة من العالم . إن الذي يبدو واضحاً هو عدم التواصل بين رئيس أميركي و آخر".

اعتمادا على معلومات توفرت حديثا من الأرشيف الرئاسي، يأخذ تايلر القراء في جولة إلى العلاقات الأميركية مع الشرق الأوسط منذ رئاسة دوايت ايزنهاور إلى رئاسة جورج دبليو بوش. ما يبرع فيه تايلر هو التركيز على الصراع العربي – الإسرائيلي المستمر، و هو موضوع شائك يستحوذ على عدة فصول من الكتاب . رغم انه كانت هناك أحيانا محاولات للتوفيق – خاصة توافقات كامب ديفيد التي رعاها الرئيس كارتر – فان تايلر يرى تخوف بعض رؤساء الولايات المتحدة من مواجهة التبجح الإسرائيلي كعائق كبير أمام السلام الدائم . فمثلا يذكر تايلر بان الرئيس جونسون لم يطالب إسرائيل بالتخلي عن المناطق التي احتلتها عام 1967 . بعد عقود من ذلك، و خلال عهد كلينتون، يقول تايلر " اهتزت الثوابت الأميركية عندما سمح كلينتون لأدارته ان تخضع لمطالب نتينياهو في تمهيد الأرضية التي رسم عليها رابين مسلك السلام الشامل و المصالحة " .

اقتراب الولايات المتحدة من العراق و الذي يفصّله تايلر بأسلوب أنيق في كتابه، يقدم مثالا آخر على عدم التواصل المستعصي بين الرؤساء، فقد انتهى رونالد ريغان بدعم الطرفين في الحرب العراقية – الإيرانية; و شجع جورج بوش الأب الشيعة على الثورة ضد صدام حسين بعد حرب الخليج 1991، ثم فشل في مساعدتهم; كما تردد بيل كلينتون في دعم المتآمرين المدعومين من السي آي أي، مما أدى إلى تسوية العملية و موت المتآمرين ; و غزا جورج دبليو بوش العراق دون تخطيط لفترة ما بعد الحرب .

تايلر لا يقيد نفسه بالأخطاء الرئاسية فقط، و إنما ينهال على التدابير التي اتخذها العديد من أعضاء الحكومة أيضاً.

يظهر هنري كيسنجر، وزير خارجية ريتشارد نيكسون، كأستاذ في الغش و التلاعب، حيث شجّع الإسرائيليين سرّا على انتهاك وقف إطلاق النار مع المصريين المدعومين من السوفييت خلال حرب أكتوبر عام 1973 . و كذلك أخفى عرضا ائتمنه عليه نيكسون كي يسلمه للزعيم الروسي ليونيد بريجينيف، و الذي اقترح فيه الرئيس الأميركي مبادرة مشتركة للدول العظمى من اجل إيجاد حل للصراع العربي – الإسرائيلي . حسب تايلر فان " قناعة كيسنجر كانت فوز إسرائيل لكي يخسر السوفييت "، و سمح لهذه القناعة أن تسيطر على توجيهات نيكسون و على مجمل مبدأ المهاودة الخاص بالدول العظمى.

يقول تايلر ان كيسنجر لم يكن الوحيد الذي أساء استخدام صلاحياته . فوزير الخارجية الكسندر هيغ قد احتال على الرئيس ريغان في تمديد الدعم الأميركي للغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982 .

و مثل كيسنجر، فقد أراد هيغ أن يسحق كل من يشارك السوفييت ; بالنسبة إلى هيغ، كان ذلك يعني السماح لإسرائيل ان تستهين بلبنان في ملاحقتها لمنظمة التحرير الفلسطينية . بالتالي استعاد ريغان السيطرة و أرسل قوات المارينز الأميركية الى لبنان لحفظ السلام، إلا انهم تعرضوا لهجوم إرهابي في 1983 . و عندما أمر ريغان بالاقتصاص من حزب الله المدعوم من إيران، لم ينفذ وزير الدفاع كاسبر واينبرغر الأمر لكونه غير متأكد من هوية المتهمين .

في كتاب " عالم من المتاعب " هناك القليل من النواقص . يناقش تايلر تلك الإدارات الرئاسية فقط – بدءا بإدارة ايزنهاور – و التي تزامنت مع حرب و اضطرابات الشرق الأوسط .

حول المعلومات عن العلاقات الأميركية – السعودية، يعتمد تايلر كثيرا على الأمير بندر بن سلطان، السفير السعودي السابق في الولايات المتحدة، و ينتقد تردد الرئيس كارتر في التدخل في الشؤون الداخلية لإيران من خلال الزعم بان الولايات المتحدة و بريطانيا كانت تتدخل دائما في إيران، رغم إن تلك التدخلات كانت بسيطة .

للأسف ليس هناك فصل ختامي في الكتاب . إلا إن توصيات تايلر – استمرارية النهج الخارجي الأميركي، و التدخل المستمر في الشرق الأوسط ، و الاقتراب الأكثر توازنا من الصراع العربي – الإسرائيلي، و التوافق مع العالم الإسلامي مع الالتزام الثابت بمعاقبة الإرهابيين الذين يهاجمون المصالح الأميركية – يتم التعبير عنها بجزالة في الكتاب .

بالصدفة، يتزامن نشر كتاب " عالم من المتاعب "مع بداية رئاسة جديدة. الرئيس المنتخب باراك اوباما و إدارته لديهم فرصة رائعة للأخذ بنصيحة و مشورة تايلر .

ماذا حل بملايين المرحّلين في نهاية الحرب العالمية الثانية؟

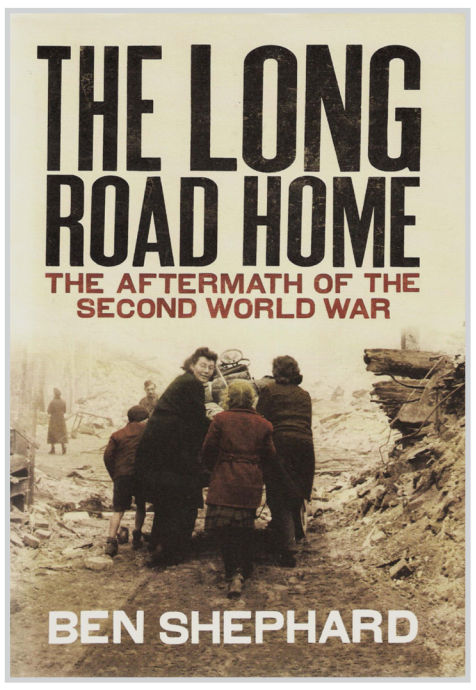

الكتاب: الطريق الطويلة نحو الوطن
المؤلف: بين شيبرد
العرض ترجمة: هاجر العاني

قبل وقت طويل من انتهاء الحرب العالمية الثانية كان مخططو الحلفاء قلقين قلقاً عميقاً بشأن ملايين اللاجئين الأوربيين أو" المهجّرين" الذين كان قد تم انتزاعهم من أوطانهم عنوة خلال الصراع الطويل ، وكان الشغل الشاغل هو إن عدداً كبيراً من الأفراد المشردين قد يخلق كابوساً إنسانياً كما كان قد حدث في نهاية الحرب العالمية الأولى .

ومن المدهش ان أغلب المؤلفات التاريخية عن الحرب العالمية الثانية وعقابيلها تكرس القليل من الاهتمام بهذه المسألة بحيث انها استغرقت الكثير جداً من الطاقة والانتباه في الوقت الحاضر ، وبالنظر الى ذلك السهو يقدم كتاب المؤرخ البريطاني بين شيبرد (الطريق الطويلة نحو الوطن : عقابيل الحرب العالمية الثانية) تحليلاً مُرَحّباً به ومطلوباً بشدة عن أزمة اللاجئين في أوربا ما بعد الحرب .

وليكون الحلفاء على مستوى التحدي المتوقع كانوا قد استحدثوا (دائرة الإغاثة وإعادة التأهيل التابعة للأمم المتحدة – United Nations Relief and Rehabil - tation Administration – U - RRA) قبل أكثر من عامين على انتهاء الحرب ، وكان الهدف هو تعبئة فرق العناية الصحية والباحثين الاجتماعيين لتوفير الخدمات المطلوبة ولإعادة اللاجئين إلى أوطانهم بأسرع وقت ممكن ، غير ان إدراك التحدي والبدء في الوقت المناسب لم يوجدا منظمة تعمل بسلاسة ، بل على العكس وبكل طريقة تقريباً كانت UNRRA وعلى نحو يرثى له غير مهيأة للمهمة الوشيكة عندما دُفعَت إلى الخدمة ، وقد لخص احد العاملين في الإعانة الوضع بكتابته "UNRRA (You Never Really Rehabil - tate Anyone – لن تعيد فعلاً تأهيل أي شخص) تخفق إخفاقاً يثير الرثاء".

والمعضلات مَتعددة أكثر مما ينبغي تقريباً حيث الملاك العامل اقل مما ينبغي والتدرب على العمل ضعيف والقيادة التنظيمية ضئيلة ووجود نقص في المؤن والعمليات الميدانية عقيمة والموارد المالية غير وافية ووجود ممانعة من قِبَل حكومات الحلفاء للتبرع لمهمات دولية ذات غرض إنساني (وهي مشكلة ما تزال تلازمنا) ، ووجود مدير عديم الحنكة سياسياً ذي ميول معادية للسامية ، وافتقار إلى القصاص والأمن مما أوجد سوقاً سوداء مزدهرة ، وبعد مطالعة وصف شيبرد لعيوب الـ UNRRA يُدهَش المرء من انها لم تنجز أي شيء .

ومما يثير السخرية الى حد ما ان أكثر المعضلات خشية – وهي أزمة صحة عامة – لم تحدث أبداً ، وقد تم تفاديها إلى حد كبير بخطوة ستصدم قراء اليوم وهي ان اللاجئين قد تم رشهم رشاً سخياً بمادة الـ (دي دي تي) التي أثبتت إنها قاتل جراثيم فعال ، وتأثيرها على صحة أولئك الذين عولجوا بها على المدى الطويل معروف إلا انه لا يمكن أن يكون تأثيراً جيداً.

وكان ثمة الكثير من المعضلات المفاجئة ، حيث ظهر إن الغذاء أكثر شحة مما كان متوقعاً وهي معضلة فاقمها "التجاوز الصرف على الحصص من جانب الجيش الأمريكي" ، وللحيلولة دون موت اللاجئين جوعاً فرضت الحكومة البريطانية بشجاعة تحصيص الخبز على مدنييها – وهو أمر لم يكن ضرورياً أثناء الحرب .

وكان اكبر التحديات – مع ذلك – هو وجود ملاجئ أكثر بكثير مما كان متوقعاً ، ويقدّر شيبرد بأن حوالي (15) مليون فرد كانوا بحاجة إلى إعادة التوطين ، وقد كانوا مجموعة كثيرة التنوع – بولنديون ولاتيفيون وبلطيقيون وأوكرانيون ويوغسلاف وناجون من معسكرات اعتقال اليهود وعاملون بالسخرة كانوا قد أجبروا على العمل في الرايخ الثالث ومئات الآلاف من الألمان الذين كانوا قد استبعدوا من الأراضي المقهورة .

وكانت ثمة معضلة ضخمة أخرى وهي إن الكثير من اللاجئين ، خاصةً من أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي ، لم تكن لديهم الرغبة بإعادتهم إلى أوطانهم لأنهم كانوا يخشون – غالباً لسبب وجيه – العواقب ما إن يصلوا إليها ، وبعضهم على الأقل كان يفضّل الموت على أعادتهم إلى أوطانهم حيث ينوه شيبرد بان " الأمريكان وجدوا الأمر غامضاً عندما كان اللاجئون السوفيت المستهدف تسليمهم لحكوماتهم (كانوا) يعضّون الأوردة الوداجية (أسفل الرقبة) لبعضهم البعض مفضلين ذلك على الخضوع لإعادتهم إلى وطنهم" وقبل أن يمر وقت طويل كان قد تم إنهاء "الإعادة القسرية الى الوطن" – وهو أمر فاقم من التوترات بين الاتحاد السوفيتي (الذي أراد عودة كل "مواطنيه" على الفور) والغرب الذي أطال أزمة اللاجئين – وحتى أواخر عام 1947 كان ما يزال هناك أكثر من مليون شخص في المخيمات .

وثمة موضوع رئيسي يتكرر طوال القصة وهو المحرقة ، وفي حين كانت أزمة لاجئين أمراً متوقعاً كان الحلفاء غير مهيئين حقاً للإبادة الجماعية الصناعية التي اكتشفوها في معسكرات الاعتقال ، والعدد القليل نسبياً من اليهود الذين نجوا من المعسكرات كانت لديهم دائماً احتياجات نفسية وصحية أعقد بكثير من اللاجئين الآخرين ومسألة إعادة توطينهم كانت أعسر علاجاً بكثير ، وعقب الكثير من المناقشة والجدل كان الكثيرون سيهاجرون إلى إسرائيل ، ومع ذلك يوضح شيبرد بأن معاملتهم – في المعسكرات وفي المرور إلى وطنهم الجديد وعقب وصولهم إلى إسرائيل – خلّفت الكثير في جعبة الأماني .

ويروي شيبرد لنا قصة هذه الناحية المعقدة والمهمَلة غالباً من عهد ما بعد الحرب العالمية الثانية بشكل واضح ومؤثر ، وبحثه مضن ويعتمد على حد سواء على وثائق رسميةً وروايات شخصية مثل المذكرات والحكايات الشفهية ، والنتيجة مجلد مثير يجمع تجارب الذين نظموا وقدموا جهود الإغاثة والذين تلقوها . انها قصة معقدة إلا إن شيبرد يرويها رواية متمكنة ومؤثرة.

وستتبادل القراء مشاعر الاندهاش والارتياع و الصدمة وأحياناً الإلهام .

وبالنظر لضخامة معضلة لاجئي ما بعد الحرب يظل سؤال واحد هو لماذا يُعرَف ويُناقَش القليل عن هذه الحلقة اليوم ، والإجابة في شقين ، الأول هو أن القضايا من فترة ما بعد الحرب مباشرةً تسقط في فراغ صغير بين صفيحتين من صفائح التشويه الكبرى للأرض في القرن العشرين وهما الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة ، والثاني هو أنه بمرور الوقت وفيما كان رعب المحرقة وعظمها ينمو في الوعي العام انحسر من الذاكرة الاهتمام بأزمة اللاجئين ، وبفضل كتاب شيبرد الهام والقيّم سيحظى الآن هذا الفصل الهام من التاريخ الحديث باهتمام وتحليل أكثر.

■ عن / النيويورك تايمز

الطريق إلى الحرب العالمية الأولى

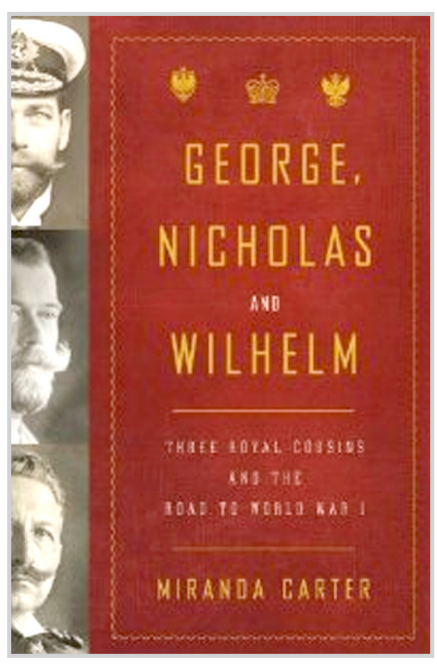

الكتاب: جورج، نيقولا وفيلهلم
تأليف: ميراندا كارتر
ترجمة: ابتسام عبد الله

كانت خطة الملكة فيكتوريا في المرتبة الأولى تزويج سلالتها، بأبناء ملوك أوروبا الذين يحكمون حوالي ٢٠ دولة.

وكانت حسب مقولتها،"الدم أكثر كثافة من الماء"، وهكذا تشكلت شبكة من الحكام من أقربائها، بحيث انها غدت "جدة أوروبا"، وأصبح السلام في أوروبا أمراً محتماً. ولكن حالة السلم وان دامت بضعة أعوام، عقب وفاة الملكة فيكتوريا عام ١٩٠١ ، فإنها تفتت بعد ذلك.

في كتاب،"جورج"، نيقولا وفيلهلم"الذي فاز بجائزة صحيفة لوس أنجلس تايمز لكتب السيرة"، نجد ان المؤلفة ميرندا كاتر ركزت على سلسلة العلاقات المترابطة بين الملوك الحاكمين لثلاث دول وهي: بريطانيا، روسيا وألمانيا. ولم يكن الحاكمان المتحالفان، الملك جورج والقصير نيقولا أبناء عم فقط(بل إن والدتيهما الهولنديتين كانتا شقيقتين أيضاً وكانتا متشابهتين الى حد كبير، بحيث يخطئ الناس بينهما.

أما القيصر ويليام فكان أيضاً كانتا ابن عم لهما، إضافة إلى قرابة أخرى عن طريق الأم.

وعلى الرغم من تلك العلاقات المتشابكة في شجرة العائلة، فإن الخلافات بدأت تنشب بين الواحد منهم والآخر. وبسبب تلك المشاكل، رفض الملك جورج بالسماح لقيصر روسيا وزوجته من اللجوء الى بريطانيا كمنفى للعائلة. وكانت النتيجة المذبحة التي حصلت وأدت إلى قتل القيصر والقيصرة وأبنائهما. وتبدو هذه القصة بشعة للغاية، بل ان الملك جورج نجح في تحميل رئيس وزرائه آنذاك (جورج لويد الذي كان مؤيداً لاستقبال العائلة الروسية)، وزر الأمر. بل ان الملك البريطاني لم يتوقف عند ذلك الحد، بل انه رفض منح القيصر الروسي وعائلته موافقة المرور من بريطانيا الى فرنسا (الجمهورية آنذاك) والتي كانت قد منحت موافقتها على استقبالهم. وتؤكد الكاتبة ميرندا كارتر، إن تلك القصة المخجلة كانت بمثابة الضربة القاضية على تقاليد العائلة وتفتتها. إن الدرس الذي يستقيه القارئ من هذا الكتاب هو إن علاقات القرابة أو الصداقة تتلاشى أمام المصالح المشتركة.

■ عن / لوس انجلس تايمز